الى مسافرة

(الى آس : المعنى القائم في نفسي وفي تاريخي . والى دمشق : المدينة التي كتبت في ظلالها هذه السطور)

يا طائري .. يا طائري ..
خطاكَ في دمى تسوحُ .. تنفض الامان ..
وقعُ خطاك في الدرج ..
وطرقة .. وطرقتان ..
يا بابي الصغير .. يا جداري الكبير
تألق الطريقُ بالوهج ..
واشرقت من كوةِ يدان ..
فديتان بالحنان ..
يا طائري .. يا طائري ..
شيء باعماقي اختلج ..
تفتحت في الصدر شرفتان
وانسكبت أفراحنا الصغار دمعتين
يا فرحنا الصغير ، يا عزاءنا الكبير ..
يا وهمنا الذي اضاء ساعةً وطار ..
تهدمت جوانب الاسى المرير ..
وارتفعت مآذنُ النهار
واتسع الحلم ... واورق المكان ..
ودوّت الاجراسُ في البعيد ..
وطرقة .. وطرقتان ..
شيء بأعماقي .. يدق من جديد ..

* *

طوفت في دمشق ..
فتشتُ عن فيروزتين ..
في الاعين التي تكاد تحترق ..
وخلف هالات السواد والارق ...
طوّفت في كل الوجوه ، مرةً ومرتين .
عبرتُ كل عين ..
لاشيء في دمشق ..
الا انتظار وقلق ..
وأغنيات لم تزل على الشفاه تختنق
وجبهة شمّاء لا تقول اين
رخامها اضاء .. واحترق ..
مدينتي التي تغيب في لزوجة بلا عرق
في حضن عاشق يناطح الهضابَ والقمم ..
ويغمر المدى البعيد .. يغمر الافق
بصفرة لهيبة كأنها مزق
بيتٌ على الهضاب .. وارتفاقه على السحاب ..
وموجة خضراءُ تغمر السهوب واليباب
ولوعة تغيب في الحدق ...
الليل في مدينتي كانه سرداب ..
طرقتُ . وانظرت ان اخوض في الضباب ..
فانشق من خلف الجدار باب
باب حزين صامد .. كصفرة الشفق
عبرته الى دمشق ..
عاريةً ، كعانسٍ ، تحلمُ بالشباب ..
لا عار في دمشق ..
العار في صمت العيون قد غرق ..
طوّفتُ في دمشق ..
بحثت عن فيروزتين ..
وكدت ان اغيب في السراب
متكئاً الى يدين ..
كومضةٍ ، أطل وجهك الصغير ،
كالشهاب ..
أطل برهةً ، وغاب .. !

* *

في لحظةٍ ، كنا نرود عندها الغروب
ونعبرُ الصمتَ الحزين في جنازة المساء ...
قلبين هاربين من حكاية القلوب ..
وتائهين ، ضائعين ، في العراء ...
في اللحظة التي تحدثينني واستدير
لادفىء الجناح خلف همسك الوثير
كانني أطير :
« عيناك ، يا فيروزتي ، معبداي
قرأت في عمقيهما عمري ..
وقصةً أفرغتُ فيها اساي
ينثال في غوريهما ، يجري ..
يا طائري ضلّت طويلا خطاي ..
واقتادني الماضي الى الاسر
ان التفت تلفح جبيني رؤاي
منقوشةً في ذلك الصخر
دفقاً اثيريا يغطي رؤايَ
وينفضُ الاحزان في صدري
تمتد من خلف الليالي يداي
لتطلق الاشواق في فجري
عيناكِ لم تعبرهما مقلتاي
الا وضجَّ الوهمُ في فكري .. »
هذا أنا ، في اللحظة التي نكأتُ
عندها الغروب ..
في نفس موطىء القدم ..
تحدرت غيومه الثقالُ دمعتين ..
وارتفعت هواجس الظلم
وانت ، وارتعاشةُ اللقاء في اليدين
كأنها حلم ..
تساقط الماء ، وامتدّت جنازة الشحوب ..
لم يبق لي غير الهروب ...

فاروق شوشة

القاهرة

لان في عينيك شيئا غير روعة الالم
شيئا نبيلا .. عارياً .. بلا قناع
وعدا .. حزينا صامتا .. كأنه حلم
لان مقلتين ناءتا بثقل الوداع ..
فارتختا ذليلتين ..
وانثنت ذراع ..
باردة .. مغلولة واطرقت قدم ..
نظرت ... فاتكأت .. فاستدرت للضياع ..
ولفظة تساقطت .. كأنها العدم ..
لان في عينيك كل ما قرأتُ من عيون
وكل ما صعدت من قمم
لان في غوريهما تتابعت ظنون
واتشح الطريق بالسأم ..
أظلُّ — هاهنا — اطالعُ السنين ..
وأنطوي .. مخافةَ الندم .. !

* *

قديستي ..
ما زال صوتك الندي في دمي ..
شيئا اثيرياً .. اضمه .. واحتمي ..
رناته تدق ايامي .. تصب في غدي
تدفق من اعماق نبع دافىء القرار ..
بالامس ضمّني هنيهة وطار ..
فرف خافقي الملح واستدار ..
وكدتُ المس النداءَ باليد ..
واودع الليل حديث مطلع النهار ..
وهمسك الرطيب ما يزال في دمي ..
شلال تاريخ صنعناه بالف موعد ..
شيئا طفوليا ، بريءَ السمت ، ناعم الازار ..
واحة امنٍ لم يزل ..
ولم نزل صغار ..
يا كم تعرينا امام مقلتيه ..
يا كم بكينا ومسحنا دمعنا في راحتيه
ياكم حملنا وهمنا ثم ارحناه عليه ..
هذا النبيلُ الهمس .. كم اصغيت
من وجد اليه ..
عرفتُ في خطاه وقع مولدي
ودفقة الحياة في غدي
ذات مساء
حين دق سمعي البعيد دقتين ...
طفلا حيياً ، مستطار القلب ، هامسَ اليدين ..
ما زلت اذكر السلامَ ، اذكرُ النغم ..
ولفظةً تشيلني ، تنفضني من العدم
وموطناً على القمم ..
وواحة ندية .. كانها حلم ..
بالامس ضمّني هنيهة .. وطار ..
ادرت عيني .. وكدت ان اعانق النهار
فانسدّت الطريقُ بيننا .. كانها جدار